المرأة في أدب "أنيس منصور"

د. عرفاني رحيم*

تعد المرأة بؤرة أساسية في كثير من القصص العربية، فكانت الأم والأخت والابنة والزوجة والحبيبة، وقد تبارى الكتاب في رسمها في أجمل وأحسن صورة فقد تنافسوا في تصويرها بأجمل الأوصاف وذلك لأن المرأة نصف المجتمع وهي الأداة الفاعلة فيه وأساس قيام هذا الصرح العالي " فالمرأة كوكب يستنير به الرجل وفي غيرها يبيت في ظلام".

فالقرآن كرمها بسورة كاملة وهي سورة النساء ورغم ذلك فإن المرأة العربية في الغالب هي المرأة المقهورة ,الخاضعة للهيمنة الذكورية فهي بالمعتاد تابعة ومتلقية ومقموعة، وهذا القمع يتراوح بين العادات والتقاليد، وظروف المجتمع وأنماطه في التعامل، غير أن المرأة تحاول الخروج من هذه الصورة التي شكلها لها المجتمع وأبقاها فيها لتثبت للرجل أنها امرأة إنسانة وليست أداة للمتعة بل هي شريكته في الحياة ولديها شخصيتها وحياتها وحريتها وأنها ليست مدعاة للشر كما كان سائدا سابقا, مسجونة في خانة الظلم والقهر والاستعباد .

فموضوع المرأة في ميدان الأدب كان من أهم الموضوعات المطروحة فهو قضية قديمة جديدة شغلت بال جميع المجتمعات كغيرها من المشاكل الاجتماعية، كالتخلف والظلم والاحتقار. فقضية المرأة تضاربت فيها الآراء، فهناك من انتصر للمرأة وجعلها شريكة للرجل، ومشاركة له في الحياة من باب المساواة، وهناك من رفض هذا الطرح وقصر مهامها في الإنجاب والالتزام في البيت. ومن هنا تصدى الأدباء لهذا الطرح وراحوا يعالجونه في كتاباتهم الأدبية الإبداعية. وهذا ما أكد عليه الدكتور صالح مفقودة: " أما وجود المرأة في ميدان الأدب فيحتل مساحة كبيرة فقصائد الشعر

* الأستاذة المساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا أونتي بورة

العربي تنوء بوصف النساء ولوحات الرسامين، تعتمد على هذا الموضوع وكذلك الإشهار والأفلام والمرأة في الرواية تحتل نصيب أوفر وكذلك " الشأن في الدراسات الأدبية والاجتماعية".([1])

فيبدو من هذا كله بأن المرأة هي عنصر بارز في جميع ميادين الحياة سواء أكان شعرا أم نثرا فهي عنصر أساسي ملفت للانتباه فقد تباين حضورها في القصة العربية المعاصرة وأصبحت تحتل نصيبا منها. فمن الضروري أن لا تخلوا أي جنس من الأدب العربي من هذا العنصر المهم. فالمرأة كما ينادي الجدد تبقى نصف المجتمع.

ولقد تعرضت المرأة عبر التاريخ للاضطهاد والإجحاف في الكثير من حقوقها فلم يعترف بدورها الكبير والفعال في بناء المجتمع والأسرة، فهي تحتل مكانة الأم والزوجة وتشارك الرجل متاعبه داخل بيته وخارجه. حينما نطالع قصص أنيس منصور نجد فيها بأن المجتمع المصري هو المجتمع الذي سلب المرأة حقوقها فلم يكتف ببعض الحقوق بل ظلمها ويعدها ممتلكات ولي أمرها وبعد الزواج ملك لزوجها حسب نظام الجاهلية رغم الحقيقة بأن كثير ا من الأدباء نادوا بتحريرها وتعليمها. كما عبروا عن مشاعرها وهمومها. ورصدوا موقفها من حركة الحياة حولها وقد عبروا عن إحساسهم العميق بعصرهم. ومن بينهم قاسم أمين في كتابة تحرير المرأة والمرأة الجديدة حيث حث على تعميم المرأة ورفع الحجاب عنها، فقد اختلفت الآراء في هذه المسألة. فهناك من رأى أن المرأة يجب أن تبقى في المنزل وتؤدي دورها الأساسي وفي حين يرى البعض أنها عنصر فعال ويجب أن تشارك في الحياة وتثبت ذاتها.

لعلنا لا نجاوز الحق إذا قلنا إن أنيس منصور من ألمع كتابنا المعاصرين الذين كتبوا عن المرأة العربية عاما والمرأة المصرية خاصة. والحق إن قصصه تتدفق جميعا من نبع أصلي واحد رغم أشكال مختلفة كما أن هذه الأعمال تتجه إلى هدف كلي واحد وإن سارت في مسالم متعددة ثم إن هذه الأعمال تنتمى إلى جوهر أساسي واحد

[1] . صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، ط٢ . ٢٠٠٩ ص ١٠

وإن تلونت بألوان شتى. أما النبع الأصلي الواحد الذي تتدفق منه أعماله فهو الوجدان المصري العامر بالتفتح والإيجابية والإرادة والحرية.

يمكن أن نقول بأن القصة عنده قد عنيت عنده بكثير من القضايا المحلية مثل الصراع بين أبناء الطبقة الغجرية والطبقة الأخرى في نفوس أبطال القصة وقد كان هذا الصراع يعنى بين نمطين من أنماط الحياة السائدة ويجسد في معناه الأعمق التحول الاجتماعي من مرحلة إلى أخرى .كما عنيت القصة عنده بتصوير وضع المرأة في المجتمع من خلال الزواج غير المتكافئ ومحاولة الاحتجاج على بعض الممارسات الفوقية للرجل والصراع بين عادات المجتمع القبلي والمجتمع المعاصر وبعض الموضوعات الوطنية والإنسانية بحس انتقادي عالي الدرجة من أجل الإسهام في تجديد مسيرة الحياة وتطوير حركة القصة إلى الأفضل .

قد أصبحت المرأة ا لمصرية على وجه الخصوص موضوعا مهما في قصصه القصيرة وبالرغم من أنه محور غني بالتوجهات التي استقى الكتاب مادتهم وصاغت أشكالها. فالعلاقة بين الرجل والمرأة عنوان كبير لإشكاليات التقدم والتخلف والتطور والارتداد. فهو في قصصه يجسد رؤى الفئات والشرائح والطبقات الاجتماعية التي ينتمي إليها. وقد يتغير معنى حرية المراءة عنده في المجتمع الجديد. يدعو ويبعث أحيانا على الحرية المطلقة الذي تشارك فيه المراءة الرجل في العمل من أجل البقاء. فقد صور المرأة في صور مختلفة نابعة من حضارته وثقافته. فأنيس منصور يعبر عن المراحل المختلفة التي تمر بها المرأة في الحب وينصح الرجل بحسن العلاقة والحب معها منذ بداية العلاقة معها كما يطلب منه أن ينتقي المعايير لاختيارها على أساس الجوهر والعاطفة وليس وفقا لجمالها فيقول:

"من يتزوج امرأة لأجل جمالها كمن يشتري بيتا لجمال طلاء واجهته

"و" عندما تحب امرأة لمزاياها فليس هذا حبا ولكن عندما تحبها رغم

عيوبها فهذا هو الحب" ([1])

كما يعتبر الرجل من يحدد طريقه يتعامل معه، فهو من بيده يجعل حياته سعيدة كما هو الذي يحكم عليه بالدمار فيصف المرأة بالشعلة ويقول:

"المرأة كالشعلة إذا عرف الرجل كيف يمكسها أضاءت له طريقه وإذا أخطأ في مسكها أحرقت يده ويقول أيضا "ولا أنت كامل الأوصاف ولا هي وعليك أن ترضى بما هي فيه لكي ترضى هي لما أنت فيه "([2])

فأنيس يؤكد أن يفهم الرجل شخصية المرأة ويحترمها ويجيد التعامل معها في كل معاملة وكذلك تدوم العلاقة الزوجية. ويشير أيضا إلى أسباب الانحلال وانتشار الفساد في المجتمع المصري وظهور المعصية باسم الحب الذي يبدأ بالنظرات وينتهي إلى الزواج. فالحب مرتبط بقوة الاحترام وقبول الآخر بشخصيته وأفكاره.

إن قصصه تعبر عن معالم الاضطهاد التي تعرضت له المرأة المصرية في أشكال عدة منه تفوق الرجل وسيادته عليها واضطهاد أبوي حيث سيطرة الرجل على الأنثى في العائلة والمجتمع والسلطة. وعمد إلى كشف المجتمع الذكوري الذي يقصي المرأة ويقلل من شأنها ويحقرها. ورغم الحركات التحررية كلها ظلت المرأة تعاني من الحرمان والتهميش حيث يقول يحي بوعزيز: "إن أكثر آفة أصابت المرأة العمومية عموما والجزائرية على الخصوص هو الجهل والأمية اللذان فرضا عليها. فعاشت ظروفا شاقة ومزرية سدت أمامها كل السبل، وفرضت عليها عادات وأعرافا بعيدة كل البعد عن الدين والرقي والحضارة."([3])

هذا ما نلمحه في قصص أنيس منصور الواقعية حيث كانت نظرة الرجل إلى المرأة نظرة تقليدية محافظة وفق منظور قضية الزواج المبكر والطلاق وغيرها من

---

[1]: أنيس منصور: قالوا، ص ١٥ ج٢

[2] : نفس المصدر

[3]: يحي بوعزيز : المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية , ص ٢٣

القضـــايا التي جعلتها تعيش داخل القوالب التقليدية البالية وخير مثال له رواية "عريس فاطمة التي رسـم من خلالها نموذج المرأة البرجوازية الصـغيرة المطحونة أمام التقاليد البالية. وتبدو شخصية فاطمة شخصية ساذجة كما هي مؤدبة ولكن تبدو في نفس الوقت مشكلة كبيرة منذ وقت طويل لأسرتها بل تعتبرها الأسرة قنبلة ستنفجر في أي وقـت. يتراءى خلال هـذا الموقف من المؤلف بـأن البنـت التي تكبر هي رمز القلق للمجتمع الشـرقي عاما والمجتمع المصري خاصا الذي يقتضي منها أن تبتعد من الأولاد وأن تكون مختلفة عنهم تماما وتجعل المســافة بينها وبين الناس. أو بعبارة أخرى لا بد لها أن تترجح العزلة والابتعاد عن كل شـيء حتى عن الأغنية والأفلام." فالأم والأخت الكبرى والأب جميعا يختارون صـديقات فاطمة والمناسـبات التي تخرج فيها فاطمة ... وفســاتين فاطمة .. والعالم الذي تعيش فيه فاطمة والكلام الذي تســمعه " فتعتبر الأسرة فاطمة كارثة خطيرة وقنبلة التي ستنفجر في أي لحظة."([1])

يتناول المجتمع المصري بالنقد والتحليل الذي يسيطر على بنتها التقاليد. فالكاتب يريد أن يعطي الحرية لأي شـــابة. الحرية التي تهيمنها وتســيطر عليها من أن تأخذ القرارات عن حياتها وعن نفسها حتى عن زواجها ويعبر عن وضع المرأة الخاشعة أمام التقاليد البالية لأسـرتها ومجتمعها التي تشـعر بالفزع والخوف في حياتها. فهي قضـية المرأة كقضـية مجتمعية في المقام الأول وتحليل هذه الصـورة وتوصـيفها كما توجد في أعمال نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم ويوســف إدريس الـذين يمثلون المرأة مقابل الرجل والمجتمع التي تخضع فيه المرأة لقوانينه الصارمة ويعكس مفاهيم الذكورة التي ترى فيها مجرد أنثى تحقق رغبات الرجل ووســيلة يحتمي بها من عجزه وإحباطه ويمارس عليها قمعه واضــطهاده. فهو ينظر لحقوق المرأة وحريتها. وهنا يحاول رصــد معاناتها النفسية وصراعها للتخلص من دور الأنثى التي فرض عليها. فقصته " عزيزي فلان هي خير تمثيل لها:

---

[1] : أنيس منصور : عريس فاطمة.

" وكانت تهرب من البيت الذي لا يريح، إلى الناس الذين يستمعون إليها ويسألونها ويطلبون مساعدتها. إنها هاربة من أمها وأخوتها. هاربة من ثلاثة أو أربعة من الناس إلى كل الناس. ولكن الناس الذين تحبهم وتسعى إليهم ليحققوا لها الحرية في الكلام والجلوس والخروج. هم أنفسهم أكثر تقييدا لها. إنها لا تستطيع أن تذهب إلى أي مكان. إنها تقوم بدور اجتماعي وهو دور يقتضيه كثير من الجد والبساطة والرهبنة الاجتماعية، إنها لا تعرف لماذا وقفت على الخطبة إنها لم تخطبه ولكن الناس هم الذين خطبوه لها.. خوفا من الناس.. حرصها على الناس.. فالناس خطبوه والناس وضعوا الدبلة في إصبعها وبدءوا يسألون عن كتب الكتاب والفرح. الناس هم الذين يحددون مكان وزمان الزفة وعدد الأولاد. الناس ...الناس.. الناس.. مظاهرة كبرى حول رأسها..."([1])

فالمرأة احتلت في قصصه مكانة مرموقة عالية حيث كرمت وأعطيت حقها من التقدير والاحترام، ولم يعد ينظر إليها على أنها متاع مملوك للرجل، تأكل وتشرب وتنجب وكفى، بل أصبحت محترمة، خلافا لما كان سائدا.

وقد ترتب على ما سبق أن المرأة أصبحت قادرة على إحداث التغيير سواء في الأسرة أو المجتمع. يتحقق عنده أيضا ملمح آخر يميز الشخصية النسائية في قصصه وهو حقها في الاختيار والرفض فيما يتعلق بأمور الزواج والحب، وتتحقق هذه السمة في قصته " عزيزي فلان".

تبدأ القصة من لحظة هامة من تطور الفتاة النفسي وهو محاولة الهرب من أى ارتباط مع زوجها ونفورها له وتعتبر نفسها سجينة له كما تعتبره مصدر عذاب لنفسها بعد أن تتعرف على زوجة أخرى له ويمضي الكاتب في تصوير أفكار الفتاة بعد أن سمعت عن زوجة أخرى لزوجها وهي العلاقة قد أدت إلى نفورها مع زوجه مما كان له أثره السيء على نفسها وعلى علاقتها فتصمم على إنهاء العلاقة بينهما مع أنها لا

[1]: أنيس منصور , قصة عزيزي فلان.

تستطيع أن تكرهه أو تحبه. فالصراع يبدو هنا الخارجي: فالقصة هكذا:

" ألم تسأل نفسك مرة من أنا بالنسبة لك؟ أنا سألت نفسي كثيرا: من أنا .. ولما ذا هنا نحن وكرهت كلمة " نحن " كرهت الكلمة التي تجمع بيننا ... إن أباك وافق على زواجك وأن أبي وافق على زواجي ... ولا رأي لي ولا رأي لك .. فأنت القاتل وأنا القتيل .... ([1])

فأنيس أيضا ينجح في أن يجعل المرأة قادرة على إبداء الرأي بل وتغيير ما حولها فهي لم تعد المرأة التقليدية، بل أصبح لها الحق في المشاركة وإبداء الرأي في كثير من الأمور مما يجعلها قوة محركة دافعة لتسيير عجلة الأمور. وخير نموذج في هذا الصدد روايته " القلب أبدا يدق تدور حول السيدة " الست هانم " في الستين من عمرها التي فقدت زوجها وتحملت العبء والمسؤولية من بعده في الشركات والأملاك التي خلفها لها زوجها. وكانت لها ولد وبنت كلاهما متزوجان وكانت مصابة بأمراض وهمية. فكانت تأخذ الأدوية يزورها الطبيب بانتظام. فبمرور الأيام تحس بأنها تحتاج إلى الراحة من الإفراط في العمل. فقررت أن تقوم برحلة تغير فيها جو وقامت بها دون علم ولديها اللذين يشتغلان تحت إمرتها في الشركة وفي هذه الرحلة تقع في الحب مع رجل أعمال " السيد رؤوف " يعرفها منذ القدم ولكنها لا تعرفه وهو قد أحبها قديما وأخفى حبها في نفسه لسبب ما إلى أن يصادفها. فصارحها بحبه وأخبرته البطلة عن وفاة زوجته قبل حوالي سنة. فبهذه المناسبة روى لها بقصة وقوع الحب معها بأدق التفاصيل عن شبابها وأيام المدرسة. استطاعت برغم القيود الظاهرة أن تمارس ميولها دون قيود حقيقية عن طريق إظهار الحب أمامه وتنجح في أن تقضي حياتها كما تشاء وتستمتع بتحقيق ما تتمناه. ([2])

نستطيع القول إن تميز هذه الشخصيات النسائية بقدرتهن على اتخاذ القرار وإبداء الرأي لم يقلل من شخصياته وقيمتها، ذلك أن شخصياته لم تحرم ما تتمتع به

---

[1]: أنيس منصور , قصة عزيزي فلان

[2]: أنيس منصور , القلب أبدا يدق

الشخصية الإنسانية من مشاعر الرقة وفيض الأنوثة والحب مما جعلهن شخصيات باقية خالدة.

ولعله في ذلك أراد أن يوضح ما أثير حول عداوته للمرأة ذلك أنه كان من المناهضين لحركة تحرير المرأة التي نادى بها "قاسم أمين" وغيره من الأدباء الآخرين.

على الرغم من شهرته بأنه عدو للمرأة ,تناول في الكثير من كتاباته علاقة الزواج والحب، بنصائح بعضها ساخرة وبعضها جادة وفلسفية جدًا. وإن كانت كلها لا تخلو من الحكمة. فيقول:

"..... لكى تكسب المرأة كن حليماً في الاستماع إلى كلماتها حالماً في الحديث إليها".([1])

ويقول أيضا:" المرأة خرجت من الرجل لا من رأسه لكي تتحكم فيه ولا من قدميه لكي توقعه وإنما من أحد جنبيه لكي تكون إلى جواره ومن تحت ذراعيه لكي تكون في حمايته وبالقرب من قلبه لكي يحبها. ([2])

المصادر والمراجع

١. أنيس منصور، عزيزي فلان وقصص أخرى، دار الشروق، القاهرة .
٢. أنيس منصور، قلوب صغيرة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧.
٣. أنيس منصور، هي وغيرها، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣م
٤. أنيس منصور، القلب أبدا يدق، مدينة نصر، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦م
٥. أنيس منصور، إلا فاطمة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م
٦. أنيس منصور , قالوا .، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, الجيزة, ج ٢ ى, ط ٢ , ٢٠١٠ م

[1]: أنيس منصور: قالوا ج ٢.

[2] : نفس المصدر

٧. سـليمان موسـى، الأدب القصـصـى عند العرب، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ١٩٦٩م.
٨. سميرالمرزوقى وجميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقيا، بغداد - يونس، ١٩٨٢م.
٩. سـهيل إدريس، محاضـرات عن القصـة في لبنان، معهد الدراسـات العربية القاهرة، ١٩٥٧م.
١٠. صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، بسكرة، الجزائر، ط٢, ٢٠٠٩ ص ١٠
١١. يحي بوعزيز: "المرأة الجزائرية وحركة الإصـلاح النسـوية"، دار الهدى، الجزائر، ص ٢٣ ,د.ت.